مدينة تادْمَكّة في العصر الإسلامي

من القرن الثاني الهجري إلى القرن الثامن الهجري/ القرن الثامن الميلادي إلى القرن الرابع عشر الميلادي

د. إبراهيم بن عطية الله السلمي

مدينة تادْمُكَّة في العصر الإسلامي من القرن الثاني الهجري إلى القرن الثامن المجري / القرن الثامن الميلادي إلى القرن الرابع عشر الميلادي د. إبراهيم بن عطية الله السلمي

ملخص البحث

دراسة تاريخ المدن من الحلقات البحثية المهمة لإكمال صورة الحضارة المنسوبة إليها، ويسجل هذا الجال أهمية بحثية وخاصة لتلك المدن المندثرة، وهي التي يُرصد لها بريق متناثر تاريخي وحضاري في المصادر المدونة.

من تلك المدن مدينة تادمكة (Tadmekka) التي كانت تقبع في السودان الغربي زمن العصور الإسلامية، الواقعة في دولة مالي في العصر الحاضر. وقد امتازت هذه المدينة بدور سياسي يكمل مسيرة الأحوال السياسية بالشطر الغربي من العالم الإسلامي منذ القرن الثاني الهجري إلى القرن الثامن الهجري، فهي مطلب تلك القوى السياسية ابتداً بدول الادارسة والرستمية والمدرارية، وانتهاءً بمملكة الكانم والصنغي. كما أنها مثلت عنصراً فاعلاً في الجانب الاقتصادي وتحديداً التجاري منه، فهي محطة رئيسية لقوافل التجارة المنتقلة من شمال قارة إفريقيا إلى أواسطها، وسوق لبضائع متنوعة.

وعن اختيار مدينة تادمكة لأن تكون محور هذا البحث العلمي، فذلك للأسباب التالبة:

- ارتباط مدينة تادمكة بصورة شكلية بمدينة مكة المكرمة.
- عدم وجود دراسة علمية تناولت مدينة تادمكة تاريخاً أو حضارياً.
- تعتبر مدينة تادمكة بأحوالها السياسية والحضارية صورة من صور الحضارة الإسلامية بالغرب الإسلامي، تحتاج إلى بحث واستقراء لرصد ذلك الإرث السياسي والحضاري.

سيعتمد الباحث – بمشيئة الله – في رصد مدينة تادمكة على المصادر والمراجع التاريخية والحضارية، كما سيتم الاعتماد على عدد من مشاريع تنقيب الآثار الأوروبية التي أجريت في موقع مدينة تادمكة، ومشاهدات لـزوار آثـار هـذه المدينة، بمنهجية ستتخذ من المنهج التاريخي والاستقرائي والوصفي منهجاً علمياً لها.

وأخيراً اسأل الله العزيز القدير أن يكون هذا البحث لبنة من لبنات رصد وإحياء تاريخ إحدى المدن الإسلامية وحضارتها، وخاصة المندثر منها.

جغرافية تادمكة:

اطلق على مدينة تادمكة العديد من المسميات بالإضافة لهذا المسمى، فهي السُّوق باللغة العربية، وأسوك وتادمكت – بالتاء المفتوحة في نهايتها – وتدمكة – بدون ألف بعد التاء – وتاد مكة – بفصل بينهما – ودامكة باللغة الطارقية. كما عرفت في فترات لاحقه بمكة الجديدة، وسوق إفورة. وعند إمعان النظر في مسميات هذه المدينة يتجلى أنها أُطلقت عليها مع دخول المدينة تحت مظلة الحكم الإسلامي. فقدسية مكة المكرمة والمفردة العربية لن تكون إلا بهذه المظلة الإسلامية (۱۱). غير أن هذه المسميات حالت دون ذكر المسمى السابق لمدينة تادمكة قبل وصول المسلمين، وهو ما يضع احتمالاً بأن هذا المسمى – تادمكة – سابق لدخول المسلمين إليها، مما قد يفضي إلى أن أهل تادمكة عرفوا مكة المكرمة قبل ذلك، وقد يكون ذلك بتبعيتهم لملة الحنبفة.

تادمكة مفردة من جزئين، هما: "تاد" و "مكة"، وتاد معناها "هذه" حيث أنها اسم إشارة في لغة الطوارق^(۲)، وهو الرأي الأصح. حيث أن هنالك رواية تفيد بأن معنى تاد هو هيئة، أي أن معنى "تادمكة" هو "هيئة مكة"، ولفظة الهيئة بلغة الطوارق ليس لها وجود^(۳).

تقع مدينة تادمكة فهي جنوبي جبل لونيا على طرف الغربي في منطقة ادرار الجبلية، وبهذا فهي شمال خط الإقليم الثاني، على خط طول أربع وأربعين درجة ودقائق على تحديد ابن سعيد المغربي.

وقد أختلف حول نسبة تادمكة – في المصادر – إلى أي البلاد تتبع، فذكر أنها من بلاد السودان، وقيل من بلاد المغرب، وكذلك من بلاد الصحراء. وهي هنا تنسب لبلاد السودان والصحراء جغرافياً، وكلاهما صحيح. وتنسب في نفس الوقت لبلاد

المغرب سياسياً حيث أنها تبعت لفترات الحكم القائم بالمغرب^(١)، وهي اليوم بـأرض جمهورية مالى (انظر خارطة ١).

وبموقعها الجغرافي المتميز أصبحت تادمكة مركزاً للطرق والمسالك بين أقاليم حوض نهر النيجر وشمال الصحراء الكبرى، وخاصة ما ارتبط بها بالحواضر الإسلامية كالقيروان وغيرها (انظر خارطة ١ - ٢). ومن أبرز هذه الطرق الآتي (٥):

أولاً: طريق تادمكة — القيروان (١٠): يبدأ من تادمكة إلى مدينة ورجلان عبر طرف الصحراء عما يلي إفريقية بمسيرة خمسين يوماً، ثم من ورجلان إلى قسطيلية (٨) بمسيرة أربع عشرة يوماً، وبمسيرة سبعة أيام يصل السالك منها إلى مدينة القيروان.

ثانياً: طريق تادمكة - القيروان: يربط بين تادمكة والقيروان، ولكنه يمر بمدينة بورجلة (٩).

ثالثاً: طريق تادمكة – غانة (۱۰): يحتاج سالك هذا الطريق إلى خمسين يوماً لإجتيازه، وهذا الطريق يبدأ بتادمكة عبر الصحراء، ثم تيرقي (۱۱)، ومنها إلى بوغرات، ثم إلى تادمكرة وسفنقو، وبعد ثلاث مراحل من سفنقو يصل السالك إلى غانة.

رابعاً: طريق آخر يصل بين تادمكة وغانة: يجتاز بعد تادمكة إلى مدينة تادمركة، ومنها إلى تامكة، فغانة.

خامساً: طريق يربط بلاد المغرب بجنوب الصحراء: يبدأ من ورجلة إلى فـزان (۱۲)، ثـم إلى غات، ومنها إلى هجار، فتادمكة.

سادساً: طريق تادمكة – غدامس (۱۳): وهذا الطريق يصل تادمكة بطرابلس بعد إجتيازه لغدامس. والطريق على مراحل: تادمكة إلى عمارة سمغارة، ثم يمر بأربع مجابات إلى غدامس، ويحتاج هذا الطريق أكثر من خمسة وعشرين يوماً لإجتيازه.

سابعاً: طريق مصر – تمبكتو: هذا الطريق يجعل من تادمكة محطة رئيسية لـه، فهـو ينطلق من واحة سيوة، إلى زويلة (١٤٠)، ثم تادمكة، فغاو، منتهياً بتمبكتو.

ثامناً: طريق الإسكندرية - السودان الغربي: هذا الطريق كسابقه في استخدام تادمكة، فيبدأ بغدامس، ثم تادمكة فالسودان الغربي.

تاسعاً: طريق تاهرت (۱۰۰ – غاو: وهو كسابقيه في استخدام تادمكة، فيبدأ بتاهرت، ثم ورجلة مروراً بتادمكة، ومنها إلى غاو.

بالإضافة لهذه الطرق ترتبط تادمكة بمدن أخرى مجاورة لها، منها: كوكو (١٦)، وورجلة، وكاغو، ونسلا. وبهذه الطرق كان لتادمكة حضورها السياسي والاقتصادي والاجتماعي ضمن مظاهر الحياة في المجتمع الإسلامي بإفريقيا - كما يتضح لاحقاً (١٧).

أما عن جغرافية تادمكة فسطحها بصفة عامة جبلي تخترقه عدد من الشعاب والأودية (انظر صورة ١) كوادي إبدقن، والمدينة تقع بين سلسلتين جبليتين من الجهتين الشرقية والغربية، تتخللها مسالك طبيعية كأنها بوابات للمدينة، يبلغ عدد تلك البوابات أو ما عرفت بالعيون في ذلك الوقت ثمان عيون. أربع منها في الجهة الشرقية هي: عين المسجد، عين النساء، عين الأرك، عين الجوز (بنداق تكنا). وأربع أخرى في الجهة الغربية هي: عين الخيل (بنداق فاجيون)، عين السيل، عين الرمح (بندان داكبا)، عين الحصاة أو المدق (آلا)(١٨٠).

دخول الإسلام إلى تادمكة:

تجاوز أثر الفتوحات الإسلامية في عهد الدولة الأموية لبلاد المغرب إلى أبعد من ذلك، فقد قام التجار المسلمون ببلاد المغرب بنقل الإسلام من خلال تجارتهم إلى بلاد السودان الغربي بعد استقرار الحكم الإسلامي. فقد عرف أهل قرافون وأهل

تادمكة وأهل غانة الإسلام منذ وقت مبكر، وذلك في عهد الخليفة الأموي هشام بن عبدالملك (١٠٥ – ١٢٥هـ / ٢٢٤ – ٧٤٤م)، بل قامت تادمكة وأهلها بدورها الدعوي تجاه مدينة كوكو وأهلها وغيرهم – فيما بعد (١٩١).

لكن مع المتغيرات السياسية في بلاد المغرب ببسط الدولة الرستمية (١٥٩هـ - ٢٩٦هـ / ٢٧٦م - ٢٩٦م) سيادتها عليها، ومن بعدها الدولة المدرارية (٢٠٨هـ - ٢٩٦هـ / ٢٠٨م - ٢٩٦م) تحول أهل تادمكة كغيرهم من المذهب السني إلى المذهب الإباضي. ويظهر أن خلال هذه الفترة الزمنية ضعف ارتباط أهل تادمكة بالإسلام حيث ظهرت بعض الظواهر التي لم يعارضها أهل المدينة كالزنا، بل ظهر من خلال وصف بعض المؤرخين وكأنهم خرجوا عن الدين الإسلامي. ولهذا الحال ما أن قامت دولة المرابطين حتى وجهت قواتها لتادمكة؛ في حركة إصلاح وتجديد سني لها وللمدن الجاورة أيضاً. وقد تعاون المرابطون في هذه الحروب مع الملك دَيْفُنُ حاكم مملكة غانة، فكان لهم السيطرة على تادمكة ونسلا وغيرها من مدن غرب السودان. ومنذ هذا الوقت أضحت تادمكة مدينة وممالكة إسلامية لها دورها وحضارتها كمثيلاتها من المدن والممالك الإفريقية (٢٠٠٠).

التاريخ السياسي لتادمكة:

تعتبر تادمكة في الجانب السياسي من تلك المدن الخاضعة بصورة سلسة للنظام الحاكم على العموم. فتتابع حكم الدول— خلال فترة الدراسة — بصورة يظهر عليها السلمية والركون للخضوع الطوعي يؤكد ذلك؛ وذلك لكون إدارة المدينة كانت لأهلها، وإن خضت تحت حكم عام كما حدث مع حكامها بني تانماك. كما أنه يظهر انشغال أهلها بالتجارة ورغبتهم بالحياة السلمية تحت أي حكم سياسي.

ويعتبر انضواء تادمكة لحكم دولة الأدارسة (١٧١ – ٣٧٥ه – / ٢٨٨م – ٩٨٥م) باكورة ذلك الخضوع، وذلك عندما تمدد حكم الأدارسة إلى منطقة زاغة على نهر النيجر. ثم انتقل حكم تادمكة للدولة الرستمية، بعد أن كان لهم وجودهم الاقتصادي والثقافي بها. وقد مثلت تادمكة مرجعاً مهماً للرستميين حتى بعد سقوط حكمهم على يد العبيديين في عام ٢٩٦ه – / ٩٠٩م، فقد كانت ملاذاً لهم، فروا إليها، وأنشئوا لهم بها أحياء سكنية كاملة. وعلى نهج الأدارسة والرستميين حكم بنو مدرار تادمكة (٢١).

رغم ذلك كان لأهل تادمكة الحكم المركزي على مدينتهم خلال هذه الفترة، فكان بنو تاغّاكُ هم ملوك تادمكة، برز منهم: فسهر بن الفارة، وأيناو بن سبنزاك. وكون تادمكة خضعت لتلك الحكومات فلا يعني ذلك أن أهلها ركنوا للراحة والدعة في العيش، فالثائر أبي زيد بن مخلد بن كيداد الثائر ضد الدولة الفاطمية هو ابن تادمكة، وإلى نواحيها فر عندما فشلت ثورته في سنة ٣٣٢هـ / ٩٤٤م (٢٢٠).

كما أن تادمكة تغير نهجها بعد خضوعها لحكم دولة المرابطين، الذي تلى حكم بنو مدرار، فأغار أهلها على من كان يجاورهم وفق منهج المرابطين الجهادي، كأراضي قبيلة جناوة. وهم في الأصل لم يخضعوا لحكم المرابطين إلا بعد أن أعان ملك غانة ديفن المرابطين على فرض سيطرتهم على مدينة تادمكة. ومع ذلك ظل أهل تادمكة هم حكامها ملوكاً كانوا أو سلاطين، فقد عُد سلطان تادمكة زمن السلطان أبي الحسن المريني أحد السلاطين البربر الثلاث أصحاب الحكم المستقل إلى جوار سلطان أهر وسلطان دمونسة (٢٣).

لكن يظهر أن هذا هو آخر عهد للحكم المستقل بتادمكة حيث بدأ عصر الممالك الكبرى بغرب أفريقيا. وكان أولها مملكة تكدة، غير أن خضوعها لم يطل لهذه

المملكة حيث وضع الطوارق يدهم على مدينة تادمكة، واستمر حكمهم لها حتى تمكنت مملكة مالي $^{(17)}$ من ضم مدينة تادمكة لها. غير أن الطوارق عادوا لحكمها عندما دب النزاع بين أفراد الأسرة الحاكمة بمملكة مالي في سنة $^{(17)}$ من غير أن الرغم من محاولات وأحكموا قبضتهم عليها إلى ما بعد عام $^{(17)}$ م $^{(17)}$ م $^{(17)}$ م استعادتها منهم، ولكنه اضطر لعقد هدنة معهم $^{(17)}$.

وسرعان ما عادت تادمكة للتنقل بين حكم الممالك كمركز استراتيجي مهم لها يجب السيطرة عليه، فوضعت مملكة الكانم ($^{(77)}$ يدها على تادمكة. ثم تلتها مملكة الصنغي $^{(77)}$ – السنغي – التي ضمت لحكمها مدن ولاته وتغازة وتادمكة. وقد نعمت هذه المدن بالأمن والاستقرار طوال الحكم الصنغي، وخاصة في ولاية سُنِّي علي $^{(79)}$ وأسكيا الحام $^{(79)}$ ، حيث شهدت تادمكة في عهدهما هجرات متتابعة للعرب والبربر إليها. ويعتبر الحكم الصنغي هو ختام العصر الإسلامي السياسي لتادمكة، فقد مثلت تبعيتها للدولة الصكتية – دولة آل فودي – بداية العصر الحديث لها $^{(71)}$.

الحياة الاقتصادية في تادمكة:

بلغت تادمكة مكانة اقتصادية كبيرة في العصر الإسلامي، فهي من أرتقى بها حالها الاقتصادي لتحمل اسم السوق في العصر الإسلامي وما بعده – عرفت بسوق إفورة في العصر الحديث، كما أنها محطة رئيسية في طرق القوافل، ولأهلها مكانة مذكورة في عملية التبادل التجاري، بل أن الحياة الاقتصادية بها جعلتها مطلباً لعدد من الدول كما حدث بصورة جلية مع الدولة الرستمية (٢٣).

عند الحديث عن دور تادمكة الاقتصادي يبرز أولاً موقعها كمحطة رئيسية لأغلب طرق التجارة الممتدة بين شمال قارة إفريقيا ووسطها. ومن أبرز تلك الطرق التجارية (٣٣):

- طريق أوذغست (۳٤) غانة تادمكة ورجلان بلاد الجريد، هذا الطريق التجاري من الطرق القديمة، فقد رصد جغرافياً منذ مجيء المسلمون إلى شمال إفريقيا، وقد أدى دوره التجاري في الربط بين بلاد المغرب والسودان الغربي والأوسط إلى بداية القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى.
- طريق تادمكة غدامس جبل نفوسة (٣٥) طرابلس، شهد هذا الطريق أهمية تجارية كبيرة وخاصة في تجارة الرقيق، ولكن مكانته تراجعت في أواسط العصر الإسلامي.
- طريق واحة سيوة زويلة تادمكة غاو تنبكتو، يعد أحد الطرق التجارية العرضية بإفريقيا، فهو يتجه من الشرق إلى الغرب بانحراف نحو الجنوب.
- طريق غاو تادمكة غات باتجاه برقة (٢٦٠) أو مصر، وطريق غاو تادمكة غدامس نحو برقة وإفريقية، كلا هذين الطريقين يتجهين من ناحية وادي النيجر باتجاه الشمال، وقد كانا ذا نشاط كبير خاصة في القرنين الثامن والتاسع الهجريين / الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين.
- طريق توتك تادمكة كوكو، يعد هذا الطريق من الطرق التجارية المخصصة لنقل سلعة محددة، وهو مخصص لنقل معدن الملح.
- طريق أرْغوين أُوليل (٣٧) أودغشت تادمكة بلما (كوار) زويلة اوجيلة (٣٨) الحبشة وادي النيل، يعتبر هذ الطريق من الطرق الصحراوية التي تخترق الصحراء مستعينة بمرورها على الواحات لإكمال مسيرتها، وهي من الطرق التجارية القليلة.

ونلاحظ أن تلك الطرق جعلت من تادمكة محطة رئيسة لها، إما بجعلها نقطة بداية أو نهاية له، أو من خلال جعلها نقطة استراحة وتداول للسلع المحمولة في تلك القوافل التجارية.

وقد منحت هذه الطرق تادمكة فرصة للالتقاء التجاري مع الأسواق الأخرى كأسواق: تبرقي، توتك، سجلماسة (٣٩)، برقة، غدامس، كوكو، السودان، غانة، إفريقية، مصر. فتمكنت تادمكة على أثرها من تسويق منتجاتها المحلية كالأحجار الكريمة، والذهب، والنحاس، أو القيام بدور الوسيط لتسويق عدد من المنتجات الهامة، ومن أهمها: الجريد، والملح، والجلود، وحجر الشبّ، وحجر تاسي النسمت (٢٠٠)، والرقيق، والثياب، والحبوب، والفخار المغربي (٢١١).

ولم يكن دور تادمكة الاقتصادي قاصراً على وفرة تلك الطرق التجارية، بـل كان لأهلها دور في ذلك، يتجلى من خلال صورتين: أولاً: ممارسة أهل تادمكة التجارة بأنفسهم، فكان لهم تواصل وحضور مشهود في الأسواق الجاورة كسوق تيرقى. ثانياً: توفر الوكلاء والأدلاء للتجار القادمين من خارج تادمكة، وهو أمر مهم بالنسبة لهم؛ خاصة وأن المنطقة الحيطة بهم منطقة صحراوية شاسعة. كما تم تـوفير الخانات وحظائر الجمال بتادمكة، وهذا كله دفع بالتجار للقدوم إلى تادمكة للتجارة، يل والاستقراريها (٤٢).

أما عن التعامل بالنقد بتادمكة، فقد تعامل أهلها بالقبراط والدينار. وكان الدينار التادمكي في بدايته عبارة عن قطعة ذهبية لا ختم عليها؛ لـذا عرفت بالـدنانير الصلع (٤٣). ورغم عدم ورود ذكر لعملات مسكوكة بتادمكة في المصادر، إلا أن هنالك كشف آثاري أكد على وجود قوالب لسك العملات الذهبية بها تعود للقرنيين الثاني والثالث الهجريين / التاسع والعاشر الميلاديين (٤٤٠). وهذا ما يفيد بأن سك العملة انتقل مع الحضارة الإسلامية إلى تادمكة منذ فترة مبكرة.

أما الزراعة بتادمكة فيظهر أنها كانت ضعيفة نوعاً ما؛ بسبب جغرافية المدينة الجبلية، والمنطقة الصحراوية المحيطة بها. ورغم ذلك إلا أن هنالك مدلولات على وجود زراعة النخيل والقطن، يتضح ذلك من خلال تلك البذور التي وجدت ضمن الآثار المتبقية عن المدينة (انظر صورة ٢)، كما أن تادمكة عرفت الزراعة التي تعتمد على الري بالأمطار (٥٤٠). ونتيجة لهذا الضعف الزراعي وحاجة سكان تادمكة لما يمونهم كمصدر للغذاء اهتم أهلها بتربية الحيوانات، ومنها: الماعز، والأبقار وهي النسبة الأكبر، والجمال، والدجاج الحبشي، والنعام، والغزلان، والخيل. بالإضافة لتربية الحمير والكلاب للحاجة إليها في النقل والحراسة (٢٤١).

الحياة الاجتماعية في تادمكة:

تعكس الحياة الاجتماعية غالباً الحالة السياسية والاقتصادية معاً، فكلاهما يؤثر جلياً على الحياة الاجتماعية. وهذا ما ظهر – وإن قل وصف ذلك – على تادمكة. فالاستقرار السياسي في العصر الإسلامي – بالرغم من تعدد الدول، والانتعاش الاقتصادي أعطى تادمكة الأفضلية على مدينتي غانة وكوكو بالرغم من مكانتهما السياسية التي تفوق تادمكة بكثير. كما أن تادمكة جمعت عدداً متنوعاً من القبائل والأعراق وصفه أحد المؤرخين بقوله: "ولو قلت أنى لم أصل إلى كثير من قبائلهم لقلت حقاً (٧٤).

ويتكون النسيج السكاني في تادمكة من: البربر والعرب والسودان والزنج. أما أهلها عند وصول الحكم الإسلامي إليها فكانوا من البربر وتحديداً قبائل مسوفة وسمغارة ومداسة، والسودان ومنهم بني تانماك. غير أن هذا النسيج تغير فيما بعد، فقد استقبلت تادمكة هجرات من العرب، والمزيد من قبائل البربر والسودان والزنج (انظر خارطة ٤). وهو التكوين الاجتماعي الذي شهد صورتين: الأولى: المحافظة على العرق وسلامته، كما حدث مع الرستميين عندما انتقلوا إلى تادمكة، وخصصوا حياً سكنياً لهم. الثاني: حدوث تمازج بين هذه الأعراق، ومن ذلك صنهاجة تادمكة، وهم في الأصل سودان حازوا بياض البشرة بفضل هذا التمازج العرقي. وكذلك المولدون من زناتة، ومثيلهم ذلك التمازج بين البربر والزنج الذي شهده عهد عملكة صنغى (۱۸۵).

وقد كان هذا التكوين الاجتماعي على حالتين في طبيعته الحياتية: حياة الحاضرة في المدينة، وحياة البداوة في براريها. أما حاضرة تادمكة فكان لباسهم: الدراريع – مماثلة لدراريع المغاربة ولكنها أضيق، والأقمصة، والسراويل، والعمائم المنسوجة من القطن والحرير وغيرها، وهي تصبغ بالألوان الأحمر والأصفر والأزرق، أما نسائهم فكن يتزين بالذهب والأحجار الكريمة والخرز الزجاجي – أحادي اللون. وطعام حاضرة تادمكة اللحوم والألبان وما يصنع من حب يظهر بأرضهم دون زراعة، بالإضافة للحبوب التي تجلب من أرض السودان من ذرة وغيرها. وكلها كانت تصنع وتقدم في الأواني الفخارية أو النحاسية أو الزجاجية (انظر صورة ٣ - ٤).

وبالنظر للحياة الاقتصادية نجد أن حاضرة تادمكة كانت تعيش لفترات طويلة مستوى معيشي مترف نوعاً ما، على النقيض منهم بادية تادمكة، فقد رُصد حال لهم يظهرهم على حال البداوة، فطعامهم اللحم واللبن، وهم لا يعرفون الطعام المصنوع ولا الشعير والحنطة أو غيرها من الحبوب. كما أن حياتهم الشقاء والاتشاح بالكساء، عما يؤكد على أنهم كانوا ضاربين في البداوة كغيرهم من بادية الصحراء (٤٩).

أما عن العادات والتقاليد لأهل تادمكة فعرف عنهم حب السفر والتجارة، وأنهم يتنقبون كما يتنقب بربر الصحراء، وهذا المظهر الأخير ما هو إلا عادة لدى البربر ممن سكن تادمكة أو مظهر مكتسب لأهلها على العموم (٠٠٠).

واليوم لا ذكر لأهل تادمكة سوى من نسب إليها بالتادمكي أو السوقي نسبة للسوق الذي عرفت به خلال فترات زمنية، حيث انتقل الكثير من أهلها إلى بلاد آير؛ دون سبب معلوم لكنه لا يبتعد عن كونه أحد العوامل الطبيعية – من جفاف وسيول جارفة – أو الغارات الحربية (١٥).

آثار مدينة تادمكة:

كما غاب أهل تادمكة غابت تادمكة، وكلاهم أصبح أثراً بعد عين. ولكن لا يعقل لمدينة مثل تادمكة أن لا يكون لها آثار ومعالم وإن هجرت منذ زمن بعيد. وهو ما وقعت عليه يد عدد من المشاريع الآثارية الكشفية. واليوم لا يوجد من مدينة تادمكة سوى بعض الآثار التي أبقى عليها الزمن (انظر صورة ٥)، فتواجد تادمكة في منطقة شعاب وأودية (٢٥)، وكون أحد أبوابها هو باب السيل فمن البديهي بعد هذا الزمن الطويل أن لا يبقى من المدينة سوى الأثر. وتبلغ مساحة تلك الآثار الموجودة عوقع تادمكة خمسون هكتاراً (انظر صورة ٥)، يغلب عليها أنها تعود للقرنين الثامن والتاسع الهجريين / الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين (٢٥٠).

وأبرز هذه الآثار بناء مطمور بالرمال (انظر صورة ٧ - ٨)، يتكون من عدد من الوحدات الصغيرة مستطيلة الشكل، ذات مخرج أو مخرجين. وتتصل فيما بينها بمرات. ولهذا المسكن بهو، وغرفة لصناعة المعيشة بها موقد لذلك. ويبلغ إرتفاع جدران المسكن خمسة أمتار، يعلوها سطح السكن الذي يمكن الصعود إليه عن طريق درج مخصص لذلك. وعن مواد بناء المسكن فهي من الحجارة الصماء، واللبن، والطين. ويغلب على هذا البناء وما تبقى من غيره بساطة البناء، وتكونها من دور واحد في غالبها على ما يظهر (١٥٥).

وإلى جوار هذه المساكن رصدت مقابر على صنفين: أولها: مقابر خاصة تتواجد ضمن بناء المساكن، وهي المقابر التي عرفت عبر التاريخ لعلية القوم وسادتها. والأخرى: مقبرة عامة محاطة بسور، وهي لعامة سكان تادمكة، ورصد بهذه المقابر بقايا شواهد لتلك القبور، عليها كتابات باللغة العربية واللغة الأمازيغية بالإضافة لرسومات متنوعة (٥٠٠).

وعند الحديث عن الكتابات الصخرية فقد رصد نص عربي على صخرة شاخصة بتادمكة – لم يرصد تحديد زمني لها – ونصها كالآتي (انظر صورة ٩):

المقطع الأول: على يمين الصخرة من جزئين، ونصها: "وكتبه..... ابن ابا بكر رحمه الله يوم الثلثة"، والجزء الثاني: ".... ابراهيم رى و تكر رحمة الله في عام......مائه من التاريخ".

المقطع الثاني: على يسار الصخرة من جزء واحد، ونصه: "من قال لا اله الا الله محمد رسول الله مخلصا من قلبه دخل الجنة (٢٥٠).

مقاربة بين مكة المكرمة وتادمكة:

كان الحكم على مماثلة أو مشابهة تادمكة لمكة المكرمة يقتصر على تلك الطبيعة الجغرافية المتشابهة، ولكن التشابه جاوز إلى جوار الجانب الجغرافي جوانب عدة هي: جانب التعدد اللفظي لمسمى المدينتين، وجانب المزيج السكاني، والجانب الاقتصادي. وهذا التشابه في تلك الجوانب كالآتي:

الجانب الجغرافي: عند الحديث في الصور المتماثلة جغرافياً بين مكة المكرمة وتادمكة يلاحظ أن هنالك عدة عناصر متماثلة، أولها: أن كلا المدينتين تتوسط طرفين لا يمكن الوصول إليهما إلا بالعبور إليهما، فمكة المكرمة تتوسط الساحل الغربي للجزيرة العربية، وتادمكة تتوسط شمال إفريقيا وأواسطها. ثانياً: كلتا المدينتان تحيط بهما الجبال، ولذا فجغرافية المدينتين عبارة عن شعاب تلك الجبال، كما أن تلك الجبال تشكل فيما بينها مداخل طبيعية للمدينتين (٥٥).

الجانب اللفظي: عرفت مكة المكرمة بمسميات متعددة، منها ما سميت به بسبب طبيعتها الجغرافية أو صفات اتصفت بها وغير ذلك، وعلى شاكلتها تعددت مسميات مدينة تادمكة، كما تعدد نطق اسمها – مع فارق كبير لمكة المكرمة شرفها الله

- فتادمكة وتادمكت وتدمكة جميعها ألفاظ $لاسم واحد، والسوق وأسوك وسوق إفورة كذلك <math>(^{(\wedge)})$.

الجانب الاجتماعي: تتميز بعض المدن بقدرتها على تكوين مزيج سكاني يجمع بين سكانها الأصليين والجاورين؛ كونها ذات تميز عقدي كمكة المكرمة، أو اقتصادي كتادمكة، أو حتى سياسي، أو أمني. ومعلوم منذ نشأة مكة المكرمة مدى ذلك الوفود إليها من جميع أصقاع العالم الإسلامي، حتى أن السياسات الحاكمة لها كانت تنادي بعودة القادمين إليها في موسم الحج إلى ديارهم. ورغم ذلك شكل مزيج من أولئك الجاورين والسكان الأصليين المجتمع المكي. وليس ببعيد حال تادمكة، فقد كانت مقصداً لعدد متنوع من الأعراق؛ انتقل إليها بهدف الاستفادة من تميزها الاقتصادي. فكان المجتمع التادمكي خليطاً من تلك الأعراق (٢٥)(٢٠).

الجانب الاقتصادي: امتازت مكة المكرمة وتادمكة في الجانب الاقتصادي بكونهما محطة اتصال للمنتجات التجارية فيما بين المدن والأقاليم، وهو ما جعل منهما مركزاً تجارياً عاثل ما يعرف اليوم بالمراكز التجارية متعددة المنتجات. ولم يقف الأمر عند ذلك بل كان لأهليهما دور ملحوظ ليس فقط في إدارة الجوانب الاقتصادية عدنهم، بل كان لهم دوراً بارزاً في الأسواق الأخرى، فكان ذلك الثراء الملموس لمن مارس التجارة في مكة المكرمة وتادمكة (٢١٥).

الخاتمة

النتائج والتوصيات:

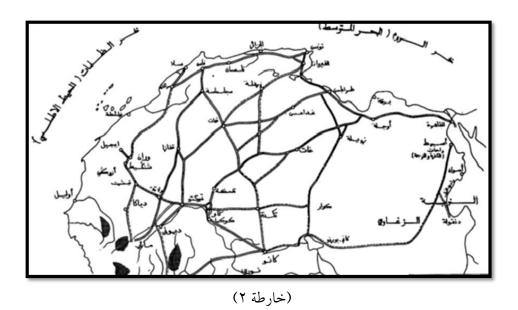
- يؤكد مسمى تادمكة قدسية مكة المكرمة لدى سكانها، سواء عاد المسمى زمنياً إلى حين دخول المسلمين إليها، أو كان قبل ذلك.
- تنسب مدينة تادمكة جغرافياً لبلاد السودان الغربي، كما تنسب في نفس الوقت لبلاد المغرب سياسياً حيث أنها تبعت لفترات زمنية الحكم القائم بالمغرب.
- تقع مدينة تادمكة بين سلسلتين جبليتين من الجهتين الشرقية والغربية، تتخللها فتحات طبيعية وكأنها بوابات للمدينة عرفت بالعيون في ذلك الوقت، منها: عين الجوز (بنداق تكنا)، وعين الخيل (بنداق فاجيون)، وعين الرمح (بندان داكبا)، وعين الحصاة أو المدق (آلا).
- ترتبط تادمكة بشبكة طرق مكنتها من التواصل مع أغلب المدن الكبرى في شمال إفريقيا والسودان الغربي.
- عرف أهل تادمكة الإسلام منذ وقت مبكر، وذلك في عهد الخليفة هشام بن عبدالملك الأموي (١٠٥ ١٢٥هـ / ٧٢٤ ٧٤٣م)، وهو ما مكنها للقيام بدورها الدعوى.
- امتازت مدينة تادمكة في الجانب السياسي بنوع من الاستقرار، بالرغم من تعدد الحكومات المسيطرة عليها؛ وذلك عائد للقدرة القيادية لأهلها.
- نالت مدينة تادمكة مكانة اقتصادية كبيرة في العصر الإسلامي، فهي محطة رئيسية في طرق القوافل، ولأهلها مكانة مذكورة في عملية التبادل التجاري.
- عرفت تادمكة وحدات النقد منذ القرنين الثاني والثالث الهجريين / التاسع والعاشر الميلاديين، وسكت النقود بأرضها.

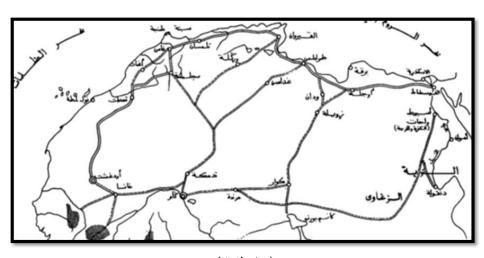
- شكل البربر والعرب والسودان والزنج نسيج سكان مدينة تادمكة في العصر الإسلامي.
- لازالت أرض تادمكة تحوى شيئاً من آثارها، وهو ما عملت وتعمل عليه اليوم عدد من فرق التنقيب عن الآثار.
- رصد بمدينة تادمكة مقابر على صنفين: أولها: مقابر خاصة تتواجد ضمن بناء المساكن، وهي المقابر التي عرفت عبر التاريخ لعلية القوم وسادتها. والأخرى: مقبرة عامة محاطة بسور، وهي لعامة سكان تادمكة، ورصد بهذه المقابر بقايا شواهد لتلك القبور، عليها كتابات باللغة العربية واللغة الأمازيغية بالإضافة لرسومات متنوعة.
- كان الحكم على مماثلة أو مشابهة تادمكة لمكة المكرمة يقتصر على تلك الطبيعة الجغرافية المتشابهة، ولكن التشابه جاوز ذلك إلى: جانب التعدد اللفظي لمسمى المدينتين، وجانب المزيج السكاني، والجانب الاقتصادي.
- يوصى البحث بتوجيه الدراسات التاريخية العلمية لتتبع آثار تلك المدن الإسلامية التي زالت عن الوجود، والتنبيه لأهميتها التاريخية.

الملاحــق



(خارطة ١) موقع تادمكة في دولة مالي

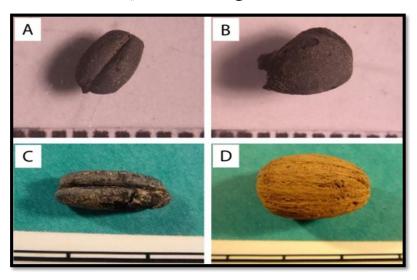




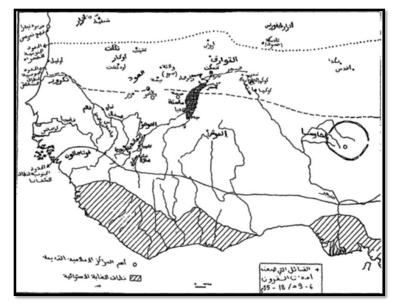
(خارطة ٣) خارطتين توضحان نماذج للطرق المتصلة بتادمكة



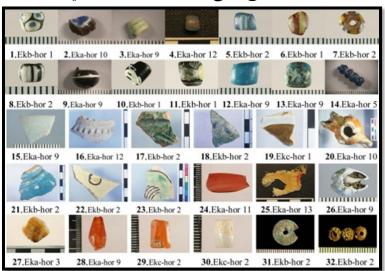
(صورة ۱) صورة لموقع مدينة تادمكة الحالي



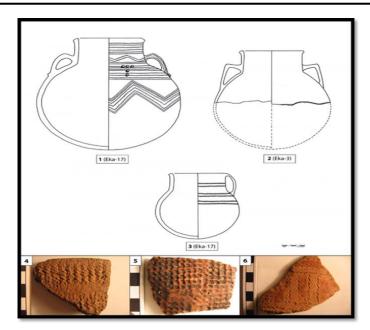
(صورة ۲) صور لنوى ثمار وجدت بتادمكة أ.قمح. ب.القطن. ج.التمر. د.ثمر الدوم.



(خارطة ٤) خارطة توضح توزيع القبائل في الغرب السوداني



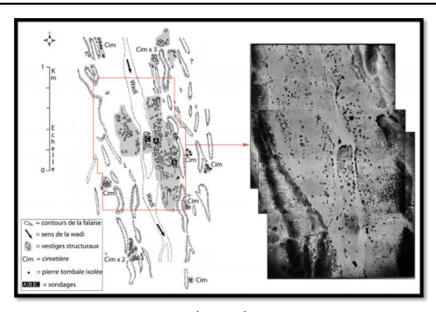
(صورة ٣) صورة لجموعة من قطع الخزف والأحجار الكريمة



(صورة ٤) صور وتصميم لفخار طيني



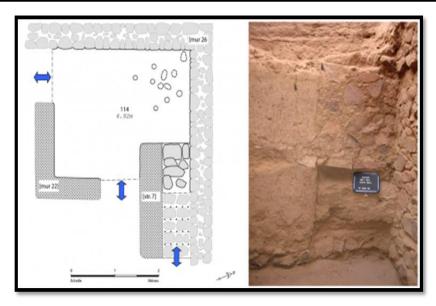
(صورة ٥) أثار مدينة تادمكة



(صورة ٦) صورة جوية لأثار مدينة تادمكة



(صورة ٧) أثر لأحد مباني مدينة تادمكة



(صورة ۸) صورة لمبنى بمدينة تادمكة من الداخل



(صورة ۹) نقش عربي على إحدى صخور تادمكة

الهوامش والتعليقات:

- (۱) أبي عبيد البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ص ١٨١ ١٨٦. شهاب الدين أحمد يحيى فضل الله العمري: مسالك الأبصار في عمالك الأمصار، السفر الرابع، تحقيق حمزة أحمد عباس، الجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، ص ١٣٣. عبدالعلي الودغيري: دور المغرب في نشر الإسلام ولغة القرآن بالغرب الإفريقي، مجلة التاريخ العربي، ع ٥٣، جمعية المؤرخين المغاربة، ص ٤٩. نقولا زيادة: إفريقيات دراسات في المغرب العربي والسودان الغربي، ط ١، رياض الريس للكتب والنشر، كانون الثاني / يناير المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٢م، ص ٤٧٧.
- (٢) أسماء الإشارة في لغة الطوارق هي: واد بمعنى هذا، وويد بمعنى هذين وهؤلاء، وتاد بمعنى هذه، وتيد بمعنى هؤلاء. انظر محمد العبدري البلنسي: الرحلة المغربية، تقديم سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، بونة، الجزائر، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م. ص ١٥٩.
- (٣) البكري: المغرب، ص ١٨١. محمد عبدالمنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط ٢، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤م، ص ١٢٨. العبدري: الرحلة المغربية، ص ١٥٩. أبي عبيد البكري: المسالك والممالك، ج ٢، تحقيق أدريان فان ليوفن وأندري فيري، الدار العربية للكتاب، ١٩٩٢م، ص ٨٨٠.
- (٤) علي بن موسى بن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، ط ١، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧٠م، ص ١١٥. العبدري: الرحلة المغربية، ص ١٥٥. مراكشي مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر سعد زغلول عبدالحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ص ١٤٦. أبو القاسم الزياني: الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور براً وبحراً، تحقيق عبدالكريم الجيلالي، دار نشر المعرفة، الرباط، ١٤١٢هـ/ المعمور براً وبحراً، عبدالعلي الودغيري: دور المغرب، ص٤٩. شوقي عبدالقوي عثمان: التجارة بين مصر وإفريقيا في عصر المماليك، الجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ١٩٨.

- (٥) الحميري: الروض المعطار، ص ١٢٩ ١٤٥ ٤٢٧. محمد بن أبي بكر الزهري: كتاب الجغرافية، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، ص ١٢٥ - ١٢٦. البكرى: المسالك والممالك، ج ٢، ص ٨٧٩ وما يليها. البكرى: المغرب، ص١٨٠ وما يليها. مراكشي مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص ١٤٦- ٢٢٤. أبو القاسم الزياني: الترجمانة الكبرى، ص ٤٨١. نقولا زيادة: إفريقيات، ص ٣١٩ - ٣٢٠ – ٣٢١. عبدالقادر زبادية: مملكة سنغاى في عهد الأسيقيين، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص ٢١٣ -٢١٤. مزاحم علاوي محمد الشاهري: حضارة الصحراء الكبرى من خلال مصادر العصر الوسيط، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع ١٥، غرادية، الجزائر، ٢٠١١م، ص ١٢٥. عبدالله إبراهيم: عالم القرون الوسطى، مج ٢، ص ٤٧٧. الهادي المبروك الدالي: التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء، ط ١، الدار المصرية اللبنانية، ربيع الثاني ١٤٢٠هـ/ أغسطس ١٩٩٩م، ص ٣١٤. عبدالغني عبدالفتاح زهرة: تاريخ انتشار الإسلام في أفريقيا، ط ١، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م، ص ٢٠١. الفاتح الزين الشيخ ادريس: الحضارة العربية الإسلامية وأثرها الإيجابي في السودان الغربي في القرون الوسطى، دراسات إفريقية، ع ٣٩، جمادي الأولى ١٤٢٩هـ/ يونيو ٢٠٠٨م، ص ٦٧. خالد بلعربي: العلاقات التجارية بين الدولة الرستمية والسودان الغربي، دورية كان التاريخية، السنة الثالثة، العدد الثامن، جمادي الآخرة ١٤٣١هـ/ يونيو ٢٠١٠م، ص ٧٠.
- (٦) القيروان: مدينة عظيمة بإفريقية، طولها إحدى وثلاثيون درجة، وعرضها ثلاثون درجة وأربعون دقيقة، كان لها دور كبير في العصر الإسلامي سياسياً وحضارياً. انظر ياقوت عبدالله الحموي: معجم البلدان، ج ٤، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ص ٤٢٠ ٤٢١.
- (٧) ورجلان: كورة بين إفريقية وبلاد الجريد، يسكنها البربر. انظر ياقوت الحموي: معجم البلـدان، ج ٥، ص ٣٧١.
- (۸) قسطیلیة: کورة بأرض الزاب الکبیر، تتبعها مدن عدة منها توزر والحمة ونفطة. انظر یاقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٤٨.

- (٩) ورجلة: مدينة بالصحراء الكبرى أسستها قبيلة وركلا الزناتية، وهي اليوم جنوب غربي دولة الجزائر. للاستزادة حول هذه المدينة انظر أحمد ذكار: مدينة ورقلة التسمية والتأسيس"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع ١٧، ديسمبر ٢٠١٤م.
- (١٠) غانة: مدينة كبيرة في جنوب بالاد المغرب، متصلة ببلاد السودان الغربي. انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ١٨٤.
- (١١) تيرقي: مدينة كبيرة غير مسورة ببلاد السودان الغربي. انظر محمد بن محمد الحسني الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج ١، ط ١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص ٢٥.
- (۱۲) فزان: ولاية واسعة بين الفيوم وطرابلس الغرب. عاصمتها مدينة زويلة السودان. انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٦٠.
- (١٣) غدامس: مدينة بجنوب المغرب، من ناحية بلاد السودان الغربي. اشتهرت على مر الزمن بدباغة الجلود. انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ١٨٧.
- (١٤) زويلة: مدينة غير مسورة من بـلاد السـودان الغربي مقابـل اجدابيـة في الـبر بـين السـودان وإفريقية. انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ١٥٩ ١٦٠.
- (١٥) تاهرت: مدينة من بلاد السوس، وهي على شطرين: مدينة قديمة مسورة، ومدينة حديثة. انظر الإدريسي: نزهة المشتاق، مج ١، ص ٢٢٢ ٢٥٥ ٢٥٦.
- (١٦) كوكو: بلاد من أرض السودان الغربي، وهي في الإقليم الأول. ويطلق مسمى كوكو أيضاً على أهلها. انظر ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٩٥.
 - (۱۷) انظر ص ۷ ۱۰ ۱۳.
- (١٨) ابن سعيد المغربي: كتـاب الجغرافيـا، ص ١١٥. روايــة محمــد أحمــد الســوقي، تادمكــة، ٥/٥/١٣/٥م.
- (١٩) البكري: المسالك والممالك، ج ٢، ص ٨٨٠. الزهري: كتاب الجغرافية، ص ١٢٦. أحمد الشكري: الإسلام والمجتمع السوداني "إمبراطورية مالي"، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٤٢٠هـ/

- ١٩٩٩م، ص ١٠٥. نقولا زيادة: إفريقيات، ص ٣٢٠. عبدالغني زهرة: تاريخ انتشار الإسلام، ص ٢٠١.
- (۲۰) البكري: المسالك والممالك، ج ۲، ۸۸۰. الزهري: كتاب الجغرافية، ص ۱۲٥ ۱۲٦. عز الدين عمر موسى: وقفات منهجية مع المفاهيم والمنظور والأساليب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ۲۰۰۳م، ص ٥٠ وما يليها. شمس الدين الكيلاني: الآخر في الثقافة العربية "صورة الشعوب السوداء عند العرب في العصر الوسيط"، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، ۲۰۰۸م، ص ۲۰۱. عبدالعلي الودغيري: دور المغرب، ص ۶۹. الأمين محمد عوض الله: العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطنتين الإسلاميتين مالي وسنغي، ط ۱، دار المجمع العلمي، جدة، ۱۳۹۹هـ/ ۱۹۷۹م، ص ۱۷۷.
- (۲۱) أبو القاسم بن حوقل النصيبي: كتاب صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ۱۹۹۲م، ص ۱۰۱. البكري: المسالك والممالك، ج ۲، ص ۱۹۹۰ فراس سليم حياوي: الدولة الرستمية وعلاقاتها الخارجية، مجلة كلية التربية الأساسية، ع ۱۰، جامعة بابل، كانون ثاني ۲۰۱۳م، ص ۱۷۷. الهادي المبروك: التاريخ السياسي، ص ۲۱۶ ۳۱۰. عز الدين موسى: وقفات منهجية، ص ۵۰ ۵۱ ۵۲ تادايوش ليفيتسكي: دراسات شمال إفريقية، ج ۲، ترجمة أحمد بومزكو، منشورات مؤسسة تالوالت الثقافية، ۲۰۰۲م، ص ۵۳.
- (۲۲) ابــن حوقــل: صــورة الأرض، ص ۷۳ ۷۷ ۹۶ ۱۰۱ ۱۰۲. القلقشــندي: صـبح الأعشى، ج ٥، ص ۲۱۱. عبدالرحمن بشير: الفقيه والسلطان الفقهاء والاعتـزال والدولـة في المغرب الإسلامي"، ط ١، عـين للدراســات والبحـوث الإنســانية والاجتماعيــة، ١٤٣١هــ/ ١٨٤٠م، ص ١٥٢ ١٥٣. الفاتح الزين: الحضارة العربية الإسلامية، ص ٦٨.
- (٢٣) الزهري: كتاب الجغرافية، ص ١٢٦. العمري: مسالك الأبصار، السفر الرابع، ص ١٣٥. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥، ص ٢١٠. عبدالعلي الودغيري: دور المغرب، ص ٤٩. عز الدين موسى: وقفات منهجية، ص ٥٣. بشار اكرم الملاح: التحولات التي أحدثها الاسلام في المجتمع الأفريقي، دار غيداء، ص ٨٣.

- (٢٤) مملكة مالي: مملكة في جنوب غرب نهاية المغرب الإسلامي، قاعدتها مدينة يميي، وقد قامت مملكة مالي على أنقاض مملكة غانة في أوائل القرن السابع الهجري / أوائل القرن الثالث عشر الميلادي، ويعتبر ماري جاطة المؤسس الحقيقي لهذه المملكة. انظر العمري: مسالك الأبصار، السفر الرابع، ص ١٠٧. الأمين محمد: العلاقات، ص ٤٩ ٥٠.
- (٢٥) منسا موسى الثاني: هو صاحب تلك الحجة الشهيرة في عام ٧٧٤هـ / ١٣٢٤م، وقد تولى حكم مالي مدة ٢٥ سنة، توفي ٧٨٩هـ / ١٣٨٧م. انظر عبدالرحمن بن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج ٦، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، ص ٢٦٧ ٢٦٨ ٢٧٠.
- (٢٦) حماه الله ولد السالم: موريتانيا في الـذاكرة العربية، ط ١، مركز دراسات الوحـدة العربية، بيروت، لبنان، يونيو ٢٠٠٥م، ص ٦٧ ٦٨. أحمد الشكري: الإســـلام، ص ١٩٦ ١٩٧. عبدالعلى الودغيري: دور المغرب، ص ٤٩.
- (٢٧) مملكة الكانم: مملكة مستقلة، قاعدتها مدينة جيمي، بينها وبين مالي مسافة بعيدة. انظر العمري: مسالك الأبصار، السفر الرابع، ص ٩٥.
- (٢٨) مملكة الصنغي: يعود تأسيس مملكة الصنغي إلى القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، وقد أسست المملكة على يد علي كولن وسليمان نار بعد تمكنهما من الفرار من أسر مملكة مالى. انظر الأمين محمد: العلاقات، ص ٦٦.
- (٢٩) سُنِّي علي: هو الملك علي كولن، حكم مملكة صنغي من عام ١٤٦٠هـ / ١٤٦٥م إلى عام ٨٩٨هـ / ١٤٩٦م. انظر الأمين محمد: العلاقات، ص ٦٧.
- (٣٠) أسكيا الحاج: هو اسكيا الحاج محمد الكبير، كان قائد في جيش الملك سني علي، وقد استولى على حكم مملكة صنغي بعد وفاة سني علي؛ حيث أن ولي العهد أبي بكر داعو بن سني علي كان ضعيفاً، فكان الحكم لأسكيا من عام ٩٩هـ / ١٤٩٣م إلى وفاته في عام ٩٣٥هـ / ١٥٢٨م انظر الأمين محمد: العلاقات، ص ٦٨.

- (٣١) ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، ص ١١٥. عبدالقادر زبادية: مملكة سنغاي، ص ٢١٣ ٢١٥. عبدالغني زهرة: تاريخ انتشار الإسلام، ص ٢٢٣. عبدالعلى الودغيري: دور المغرب، ص ٤٩.
 - (٣٢) انظر ص ٨.
- (٣٣) البكري: المسالك والممالك، ج ٢، ص ٨٨٣. نقولا زيادة: الطرق والمسالك في المغرب العربي من أواسط القرن الرابع إلى أواسط القرن السادس الهجري / العاشر إلى الثاني عشر الميلادي، جزء من كتاب المرجع، ص ٢٢ ٢٣. ج. ت. نياني: تاريخ إفريقيا العام، مج ٤، اليونسكو، ١٩٨٨م، ص ٢١٤ ٢١٥. الأمين محمد: العلاقات، ص ١٢٥. عبدالإله بن مليح: الرق في ببلاد المغرب والأندلس، مؤسسة الانتشار العربي، ٢٠٠٤م، ص ١٨٨. عبدالغني زهرة: تاريخ انتشار الإسلام، ص ٢٠١. صالح معيوف مفتاح: جبل نفوسة وعلاقته بالدولة الرستمية، مؤسسة تاوالت الثقافية، ٢٠٠٠م، ص ٥٥ ٥٦ ٧٥ ٢١٤. تادايوش ليفيتسكي: دراسات شمال إفريقية، ج ٢، ص ٥٣ ٥٤.

.Th. Rehren & S. Nixon: Refining gold, p 33

- (٣٤) أوذغست: مدينة ببلاد المغرب بين جبلين، تقع جنوب من مدينة سجلماسة. انظر ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج ١، ص ٢٧٧ ٢٧٨.
- (٣٥) جبل نفوسة: هو في الأصل سلسلة جبلية ببلاد المغرب مما يلي إفريقية، وهي تمتد من الشرق إلى الغرب مسيرة ستة أيام. انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٩٦ ٢٩٧.
- (٣٦) برقة: صقع كبير يمتد بين الإسكندرية وإفريقية، وبه عدد من المدن، وعاصمته مدينة انطابلس. انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٣٨٨ ٣٨٩.
- (٣٧) أُوليل: مدينة ببلاد السودان الغربي، وهي في الأصل جزيرة يعبر إلها بالسفن. انظر الإدريسي: نزهة المشتاق، مج ١، ص ١٧ – ١٩ - ١٠٨.
- (٣٨) اوجيلة: مدينة صغيرة متحضرة ناحية برقة، يحيط بها النخيل والزروع. انظر الإدريسي: نزهة المشتاق، مج ١، ص ٣١٢.

- (٣٩) سجلماسة: مدينة في جنوب بـ الاد المغـرب، في طرف بـ الاد السـودان الغربـي. انظر يـاقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ١٩٢.
 - (٤٠) حجر تاسى النسمت: هو حجر كريم يشبه العقيق. نقولا زيادة: الطرق والمسالك، ص ٢٣.
- (۱۱) الحميري: الروض المعطار، ص ۱۸۰. البكري: المسالك والممالك، ج ۲، ص ۱۸۰ ۱۸۸ مراکشي البکري: المستبصار في عجائب ۱۸۸ البکري: المغرب، ص ۱۸۰ ۱۸۸. مراکشي مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص ۲۲۲. نقولا زيادة: الطرق والمسالك، ص ۲۳. بن مليح: الرق، ص ۱۸۸ ۱۸۸ الأمصار، عز الدين موسى: وقفات منهجية، ص ٥٠ وما يليها. عبدالغني زهرة: تاريخ انتشار الإسلام، ص ۲۲۳. حمد محمد الجهيمي: العلاقات التجارية بين مملكة غانا وبلاد المغرب فيما بين القرنين الثالث والخامس الهجريين، مجلة المختار للعلوم الإنسانية، ع ۲۰، البيضاء، ليبيا، ص ۱۰ ۱۵. مجلة المؤسسة: بحوث مميزة في كلية لندن الجامعية في قطر، مجلة المؤسسة، على ۱۸۰، مؤسسة قطر، يناير ۲۰۱۲م، ص ٥. نياني: تاريخ إفريقيا، مج ٤، ص ۲۰۰. شمس الدين الكيلاني: صورة الشعوب السوداء، ص ۹۰. عبدالله إبراهيم: عالم القرون الوسطى، مج ۲، ص ۲۷۵. حسن دتاوشيخت: سجلماسة كمركز للتواصل الحضاري مع إفريقيا، مبادي ميثاق الرابطة، ع ۱۲، ۲۰۱۱م، ص ۲. بشار الملاح: التحولات، ص ۱۳۳.

Sam Nixon: « Tadmekka. Archéologie d'une ville caravanière des premiers temps du commerce transsaharien », Afriques, 23 mai 2013 AD, p 15-18-35-38. Th. Rehren & S. Nixon: Refining gold with glass e an early Islamic technology at Tadmekka, Journal of Archaeological Science, 49, 2014 AD, p 33-39.

- . ۱۰ مبدالقادر زبادیة: مملکة سنغاي، ص ۲۱۲. حمد الجهیمي: العلاقات التجاریة، ص ۱۰. Sam Nixon: Tadmekka, Afriques, p 2-3-73-76.
- (٤٣) البكري: المسالك والممالك، ج ٢، ص ٨٨٠. البكري: المغرب، ص ١٨١. الحميري: الروض المعطار، ص ١٢٨.
- (٤٤) قام الدكتور سام نيكسون بمشروع حفريات أثرية بتادمكة في عام ٢٠٠٤م اكتشف من خلاله قوالب لسك العملات الذهبية. انظر مجلة المؤسسة: بحوث مميزة، ص ٥.

Sam Nixon: Tadmekka, Afriques, p39 - 58 - 73. Th. Rehren & S. Nixon: Refining gold, p39 - 40.

(٤٥) البكري: المسالك والممالك، ج ٢، ص ٨٨٠. البكري: المغرب، ص ١٨١. الحميري: الـروض المعطار، ص ١٢٨. - ١٢٩.

Sam Nixon: Tadmekka, Afriques, p 46 – 89.

Sam Nixon: Tadmekka, Afriques, p 41 – 42 – 45 – 48 – 53 – 62 – 88. (٤٦)

(٤٧) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ١٠١ - ١٠٢.

- (٤٨) البكري: المغرب، ص ١٠١. البكري: المسالك والممالك، ج ٢، ص ٨٧٨. ابن حوقل: صورة الأرض، ص ١٠١. العمري: مسالك الأبصار، السفر الرابع، ص ١٣٣. عصمت عبداللطيف دندش: دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، ط ١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ص ٣٤. مزاحم الشاهري: حضارة الصحراء الكبرى، ص ١٢١. عبدالعلي الودغيري: دور المغرب، ص ٤٤. عبدالرحمن بشير: الفقيه والسلطان، ص ١٥٦ ١٥٦. فراس سليم: الدولة الرستمية، ص ١٧٧. إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بروت، ص ١٥٠. نقو لا زيادة: إفريقيات، ص ٣٢٠.
- (٤٩) البكري: المسالك والممالك، ج ٢، ص ٨٨٠. البكري: المغرب، ص ١٨١. الحميري: الـروض المعطار، ص ١٢٨ ١٢٩. شمس الـدين الكيلانـي: صورة الشعوب السوداء، ص ٩٥ المعطار، ص ١٢٨ ١٢٩. شمس الـدين الكيلانـي: صورة الشعوب السوداء، ص ٩٥ ١٠١. نقو لا زيادة: إفريقيات، ص ٣١٩ وما يليها.

Sam Nixon: Tadmekka, Afriques, p 14 - 39 - 45 - 53 - 61 - 77 - 78. Th. Rehren & S. Nixon: Refining gold, p 33 - 38.

- (٥٠) ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، ص ١١٥. البكري: المسالك والممالك، ج ٢، ص ٨٨٠. البكري: المغرب، ص ١٨٨. الحميري: الروض المعطار، ص ١٢٨. نقولا زيادة: إفريقيات، ص ٣٢١. بشار الملاح: التحولات، ص ٥٤ ١٨٠.
 - (٥١) عبدالعلى الودغيرى: دور المغرب، ص ٤٩.

Mehdi Abou 'Abdir-Rahmân: Autobiographie du savantissime Cheikh Hammâd Al-Ansârî, 8/29/2013 AD, p 3.

- (٥٢) انظر جغرافية تادمكة ص ٦.
- (٥٣) حسن تاوشيخت: سجلماسة، ص٦. مجلة المؤسسة: بحوث مميزة، ص٥.
- (54) Sam Nixon: Tadmekka, Afriques, p 16 to 33. Th. Rehren & S. Nixon: Refining gold, p 36.
- (55) Sam Nixon: Tadmekka, Afriques, p 12 32 62.
- (56) Sam Nixon: Tadmekka, Afriques, p 12.
 - (٥٧) الادريسي: نزهة المشتاق، مج ١، ص ١٣٩.
- (٥٨) البكرى: المغرب، ص ١٨٢. محمد طاهر الكردي المكي: التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، ج ١، تحقيق عبدالملك بن دهيش، ط١، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م، ص ٦٣. عبدالعلي الودغيري: دور المغرب، ص٤٩. نقولا زيادة: إفريقيات، ص ٣٢٠ - ٣٢١. عبدالله إبراهيم: عالم القرون الوسطى، مج ٢، ص . ٤٧٧
 - (٥٩) انظر الحياة الاجتماعية ص ١٣.
- (٦٠) البكري: المغرب، ص ١٨١. البكري: المسالك والممالك، ج ٢، ص ٨٧٩. عبدالله الغازي المكى الحنفي: إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام، مج ٦، تحقيق عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، ط ١، مكتبة الأسدى للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م، ص ٣٣٦. عبدالله الغازي المكي: سكان مكة بعد انتشار الإسلام، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، ط ١، دار القاهرة، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص ١٥ وما يليها. عصمت دندش: دور المرابطين، ص ٣٤. مزاحم الشاهري: حضارة الصحراء الكبري، ص ١٢١. فراس سليم: الدولة الرستمية، ص ١٧٧. إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ، ص ١٥. نقولا زيادة: إفريقيات، ص ٣٢٠.

(١٦) البكري: المسالك والممالك، ج ٢، ص ٨٧٩ - ٨٨٠ - ٨٨٨. البكري: المغرب، ص ١٨٠ - ١٨٣. مراكشي مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص ٢٢٢. محمد طاهر المكي: التاريخ القويم، ج ٢، ص ١٣٩ وما يليها. نقولا زيادة: الطرق والمسالك، ص ٢٣. عز الدين موسى: وقفات منهجية، ص ٥٠ وما يليها. عبدالغني زهرة: تاريخ انتشار الإسلام، ص ٢٢٣. حمد الجهيمي: العلاقات التجارية، ص ١٠ – ١٤. نياني: تاريخ إفريقيا، مج ٤، ص ٠٠٠. شمس الدين الكيلاني: صورة الشعوب السوداء، ص ٩٥. عبدالله إبراهيم: عالم القرون الوسطى، مج ٢، ص ٢٧٤. بشار الملاح: التحولات، ص ١٣٣. جيهان بنت عبدالرحمن شاه بهاي: دور مكة المكرمة في الحياة الاقتصادية قبل الإسلام، رسالة علمية، جامعة الملك عبدالماك عبدالله عبدالعزيز، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، ص ١٣٥ وما يليها.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

- أبو العباس أحمد القلقشندي: صبح الأعشى، دار الكتب الخديوية، القاهرة، ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م.
- شهاب الدين أحمد يحيى فضل الله العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي، أبو ظبى، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
- عبدالرحمن بن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- عبدالله الغازي المكي الحنفي: إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام، تحقيق عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، ط ١، مكتبة الأسدي للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.
- عبدالله الغازي المكي الحنفي: سكان مكة بعد انتشار الإسلام، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، ط ١، دار القاهرة، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- أبي عبيد عبدالله عبدالعزيز البكري: المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- أبي عبيد عبدالله عبدالعزيز البكري: المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان ليوفن وأندري فيري، الدار العربية للكتاب، ١٩٩٢م.
- علي بن موسى بن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، ط ١، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧٠م.
- أبو القاسم بن أحمد الزياني: الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور براً وبحراً، تحقيق عبدالكريم الجيلالي، دار نشر المعرفة، الرباط، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.
- محمد بن أبي بكر الزهري: كتاب الجغرافية، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد.

- أبو القاسم محمد حوقل النصيبي: كتاب صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بـيروت،
 لبنان، ۱۹۹۲م.
- محمد طاهر الكردي المكي: التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، تحقيق عبدالملك بن دهيش،
 ط۱، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ۱٤۲۰هـ / ۲۰۰۰م.
- محمد عبدالمنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط ٢، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤م.
- محمد بن محمد الحسني الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط ١، عالم الكتب، بـيروت،
 ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.
- محمد العبدري البلنسي: الرحلة المغربية، تقديم سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، بونة، الجزائر، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.
- مراكشي مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر سعد زغلول عبدالحميد، دار الشؤون
 الثقافية العامة، بغداد، العراق.
 - ياقوت عبدالله الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.

المراجع:

- إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.
- أحمد الشكري: الإسلام والمجتمع السوداني إمبراطورية مالي"، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٤٢٠هـ
 / ١٩٩٩م.
- الأمين محمد عوض الله: العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطنتين
 الإسلاميتين مالي وسنغي، ط ١، دار المجمع العلمي، جدة، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
 - بشار اكرم الملاح: التحولات التي أحدثها الاسلام في المجتمع الأفريقي، دار غيداء.

- تادايوش ليفيتسكي: دراسات شمال إفريقية، ترجمة أحمد بومزكو، منشورات مؤسسة تالوالت الثقافية، ٢٠٠٦م.
 - ج. ت. نياني: تاريخ إفريقيا العام، اليونسكو، ١٩٨٨م.
- حماه الله ولد السالم: موريتانيا في الذاكرة العربية، ط ١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، يونيو ٢٠٠٥م.
- شمس الدين الكيلاني: الآخر في الثقافة العربية "صورة الشعوب السوداء عند العرب في العصر الوسيط"، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٨م.
- شوقي عبدالقوي عثمان: التجارة بين مصر وإفريقيا في عصر المماليك، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- صالح معيوف مفتاح: جبل نفوسة وعلاقته بالدولة الرستمية، مؤسسة تاوالت الثقافية،
 ٢٠٠٦م.
- عبدالرحمن بشير: الفقيه والسلطان الفقهاء والاعتزال والدولة في المغرب الإسلامي، ط ١، عين
 للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.
- عبدالغني عبدالفتاح زهرة: تاريخ انتشار الإسلام في أفريقيا، ط ١، مكتبة الرشد، الرياض، الملكة العربية السعودية، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
 - عبدالقادر زبادية: مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
 - عبدالإله بن مليح: الرق في بلاد المغرب والأندلس، مؤسسة الانتشار العربي، ٢٠٠٤م.
 - عبدالله إبراهيم: عالم القرون الوسطى في أعين المسلمين، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٢م.
- عز الدين عمر موسى: وقفات منهجية مع المفاهيم والمنظور والأساليب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٣م.
- عصمت عبداللطيف دندش: دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، ط ١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

- نقولا زيادة: إفريقيات "دراسات في المغرب العربي والسودان الغربي"، ط ١، رياض الريس
 للكتب والنشر، كانون الثاني / يناير ١٩٩١م.
- نقولا زيادة: الطرق والمسالك في المغرب العربي من أواسط القرن الرابع إلى أواسط القرن السادس الهجري / العاشر إلى الثاني عشر الميلادي، جزء من كتاب المرجع.
- الهادي المبروك الدالي: التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء، ط ١، الدار
 المصرية اللبنانية، ربيع الثاني ١٤٢٠هـ/ أغسطس ١٩٩٩م.

الرسائل العلمية:

جيهان بنت عبدالرحمن شاه بهاي: دور مكة المكرمة في الحياة الاقتصادية قبل الإسلام، رسالة
 علمية، جامعة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

الأبحاث المنشورة:

- أحمد ذكار: مدينة ورقلة التسمية والتأسيس"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع ١٧، ديسمبر ٢٠١٤م.
- حسن دتاوشيخت: سجلماسة كمركز للتواصل الحضاري مع إفريقيا، ميثاق الرابطة، ع ٦١، ٢٠١١م.
- حمد محمد الجهيمي: العلاقات التجارية بين مملكة غانا وبلاد المغرب فيما بين القرنين الثالث والخامس الهجريين، مجلة المختار للعلوم الإنسانية، ع ٢٥، البيضاء، ليبيا.
- خالد بلعربي: العلاقات التجارية بين الدولة الرستمية والسودان الغربي، دورية كان التاريخية،
 السنة الثالثة، العدد الثامن، جمادى الآخرة ١٤٣١هـ / يونيو ٢٠١٠م.
- عبدالعلي الودغيري: دور المغرب في نشر الإسلام ولغة القرآن بالغرب الإفريقي، مجلة التاريخ العربي، ع ٥٣، جمعية المؤرخين المغاربة.
- الفاتح الزين الشيخ ادريس: الحضارة العربية الإسلامية وأثرها الإيجابي في السودان الغربي في القرون الوسطى، دراسات إفريقية، ع ٣٩، جمادى الأولى ١٤٢٩هـ/ يونيو ٢٠٠٨م.

- فراس سليم حياوى: الدولة الرستمية وعلاقاتها الخارجية، مجلة كلية التربية الأساسية، ع ١٠، جامعة بابل، كانون ثاني ٢٠١٣م.
- مجلة المؤسسة: بحوث مميزة في كلية لندن الجامعية في قطر، مجلة المؤسسة، ع ٣٧، مؤسسة قطر، ینایر ۲۰۱۲م.
- مزاحم علاوي محمد الشاهري: حضارة الصحراء الكبرى من خلال مصادر العصر الوسيط، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع ١٥، غرادية، الجزائر، ٢٠١١م.

الرواية الشفوية:

رواية محمد أحمد السوقي، تادمكة، ٥/ ٥/ ١٣٠٥م.

المصادر الأحنيية:

- Sam Nixon: «Tadmekka. Archéologie d'une ville caravanière des premiers temps du commerce transsaharien», Afriques, 23 mai 2013 AD.
- Th. Rehren & S. Nixon: Refining gold with glass e an early Islamic technology at Tadmekka, Journal of Archaeological Science, 49, 2014 AD.